قيم الفروسية في الشِّعر الجاهلي
عنترة بن شداد وعامر بن الطفيل نموذجاً

د. بشير أحمد يوسف[1]
د. بركات محمد أحمد[2]

المستخلص

هدف هذا البحث إلى التعرف على مفهوم الفروسية في الجاهلية ، والتي ارتبطت بمعان سامية في أعراف الجاهلية ، وذلك من خلال دراسة شاعرين يعدان في ذروة هذه المناقب هما: عنترة بن شداد العبسي ، وعامر بن الطفيل. استخدام الباحثان المنهج الاستقرائي التحليلي ، وتوصل البحث إلى نتائج منها: أنّ القيم المرتبطة بالفروسية من نجدة ، وشهامة ، ووفاء ، وعفة ، تمثل معياراً ومقياساً للسمو ، وأن سيادة هذه القيم بمثابة العواصم من القواصم التي تهدد حياة الجاهلية ، وأوصى الباحثان بتعميق مفهوم هذه القيم من أجل إصلاح الأفراد والمجتمعات.

[1] أستاذ مشارك ، كلية التربية ، جامعة البطانة.
[2] أستاذ مشارك ، كلية التربية ، جامعة القرآن وتأصيل العلوم.

مقدمة

يعد البحث في مجال القيم من أكثر الدراسات حيوية وخصوبة ؛ وذلك لتعدد وجهات النظر ، واختلاف الآراء حول المفاهيم التي تتعلق بالقيم كونها ترتبط بفلسفة وثقافة المجتمعات ، وبمقدار هذا الاختلاف تتعدد القضايا التي تشملها بما في ذلك دراسة المفاهيم. وإنّ دراسة القيم وما يتعلق بها مهدت إلى إبراز معان تسهم في سلوك الأفراد والمجتمعات تجاه التعاون والتماسك وإعلاء قيم الخير والفضيلة.

وتعد القيم الإنسانية ذات قاسم مشترك باعتبار الفطرة البشرية [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] [الروم:30] ، وما شذ عن ذلك فلا اعتبار به. وقد تناول البحث هذه القضية من خلال شاعرين كبيرين من شعراء العصر الجاهلي شجاعة ، وكرماً ، ومروءة ، هما: **عنترة بن شداد العبسي** ، **وعامر بن الطفيل العامري** ؛ وذلك لاستنباط القيم المتناثرة في أشعارهما والتي تعكس بوجه عام دور القيم في توجيه الحياة.

القيم في اللغة والاصطلاح:

جاء في لسان العرب: (القيم الاستقامة والاستقامة الاعتدال)[3]، يقال استقام له الأمر إذا اعتدل ، قال تعالى: [قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ] سورة فصلت. (6)

ومن معاني القوام العدل ، قال تعالى: (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا) الآية(67) سورة الفرقان. ، وقال تعالى: [إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا] الآية (9) سورة الإسراء.

وقوام الأمر: نظامه ، وعماده ، وقد تجيء القيم بمعنى المحافظة والإصلاح ، قال تعالى: [الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۚ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا] الآية(34) من سورة النساء، وكذلك قوله تعالى: [وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] الآية 75 من سورة آل عمران، ومن معاني القيم الشأن والاعتدال ، كما يقول الراغب الأصفهاني في المفردات[4] ، ومنه قوله تعالى: [قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] الآية (161) من سورة الأنعام، وكذلك قوله تعالى في مفتتح سورة الكهف: (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ۜ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا] الآيتان 1-2 من سورة الكهف.

والقائم بالدين المتمسك به الثابت عليه ، قال تعالى: [لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ] الآية 113 من سورة آل عمران.

وأقام الأمر فهو مقيمه ، وبذلك سمي **الإمام ابن القيم** نسبة إلى مهنة والده ، وهو القيام على أمر المدرسة السلطانية ، ومن خلال ما سبق يتضح أن مفهوم القيم في اللغة يعني الاستقامة ، والاعتدال ، والتوسط ، والإصلاح ، والمحافظة ، والتمسك بالحق ، والمحافظة عليه.

[3] ابن منظور - جمال الدين بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف – بيروت، ج5 ص3881 ، مادة قوم.
[4] الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، دار المعارف – بيروت ، بدون تاريخ ، ص417 .

أما القيم في الاصطلاح: فهي تلك الأشياء التي تعد جيدة لذاتها ، مثل الجمال ، والحق ، والحب ، والأمانة والولاء ، والتي تتصدر ما يطلبه الفرد والمجتمع ويحرص عليه لإقامة حياة أفضل.[5]

التَّغيُّر والثبات في مفهوم القيم:

فيما يتعلق بتغُّير وثبات القيم: فيذهب بعض المفكرين إلى أنّ القيم مطلقة ، ويرى آخرون أن القيم نسبية بالقياس إلى رغبات البشر ، ولما كانت الرغبات متغيرة فالقيم التي تعبر عنها متغيرة وفقاً للظروف والأحوال والعلاقة بين الألفاظ والمعاني والمصطلحات المتفق عليها والمختلف حولها[6].

أما بالنسبة لسلم القيم ونسجها فنجد الاختلاف تبعاً للمواقف المجردة ، فالشخص المثالي تظهر القيم الروحية عليه كالوفاء ، والصدق ، والأمانة ، أما الشخص المادي فيؤمن بحركة المادة موجهاً للحياة ، بينما الشخص الفلسفي يضع القيم العقلية والتجربة الحسية في قمة أولوياته.[7]

الفروسية في اللغة:

فرس الأسد فريسته فرساً أي: دق عنقها ، وأصل الفرس هذا ثم كثر واستعمل حتى صار كل قتل فرساً ، وقد نهي عن الفرس في الذبح ، وهو كسر عظم الرقبة قبل أن تذبح البهيمة. [8]

وقال آخر: فرس الذئب الشاة أي: افترسها ، وأفرس الرجل الأسد حماره إذا تركه ليفترسه وينجو هو ، وأبو فراس كنية الأسد[9] ، والفرس يقع على الذكر والأنثى ، والفرس واحد الخيل ، والجمع أفراس ، وراكبه فارس مثل لابن وتامر ، وهذا شاذ لا يقاس عليه ، والصواب جمع فارس فرسان[10] ، ويقال إن فلاناً لفارساً بذلك الأمر إذا كان عالماً به ، ومنه جاء الحديث: ((اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)) [11].

خلاصة الأمر نجد أن الفروسية تعني الحذق بأمور الخيل وركوبها والثبات عليها والتعرف على أحوالها.[12]

الفروسية في المفهوم الأدبي:

الفروسية مظهر مترع متصل بالبناء النفسي والتركيب الطبيعي للشخصية العربية ، نشأ نتيجة عوامل اجتماعية وأخلاقية وظروف طبيعية معينة ، وقد ساعدت على تطوره فطرة عربية سليمة وجبلة حميدة ، ولا تقتصر صفة الفروسية على الطعان والقتال في المعارك بل تتعداها إلى الشهامة ، وعلو ، الهمة ، والقوة ، والصبر ، والشجاعة ، وكل المثل والقيم الحميدة ، ولا يتصور وجود فارس يخلو من تلك القيم ، بل إن صفات الفروسية المختلفة هي التي تؤهل صاحبها للقيادة والزعامة ، فلكل شيء ثمن وقيمة ، وثمن الفروسية البطولة ، والقوة ، والصبر ، فالفروسية هي فطرة ربانية ، ولكن الطبيعة والبيئة هما اللتان تنميانها وترسخانهما كما حدث في الطبيعة الصحراوية القاسية للجزيرة العربية ذات الصحاري والفيافي ، وللفروسية عند الأمم من قديم الزمان شأن خطير ، ولتمجيدها مقام كبير ، فكان اليونانيون يقدرون أبطالهم الذين اشتهروا بينهم ويقدسونهم[13].

---

[5] زاهر ضياء ، القيم في العملية التربوية ، مؤسسة الخليج العربي ، ط2 1984م ، ص10 .
[6] الغزالي – أبو حامد بن محمد ، الاقتصاد في الاعتماد ، تقديم: علي أبو محمد ، مكتبة الهلال – بيروت ، ط1 1993م ص183 .
[7] موسى محمد منير – فلسفة التربية واتجاهاتها ومدرستها ، عالم الكتب – القاهرة ، 1982م ، ص180 .
[8] الصحاح للجوهري ، ص954 ولسان العرب ، ص160 .
[9] لسان العرب ، ص160 .
[10] المصدر نفسه ص159 .
[11] الترمذي - محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ج5 ص298
[12] لسان العرب ، ص160 .
[13] انظر: الفروسية في الشعر الجاهلي ، ص124 .

ثم يواصل صاحب كتاب الفروسية قائلاً: (وكان للفرسان عند العرب في الجاهلية المقام الأكبر ، والمكانة الأولى بين العشائر والقبائل ، لأنهم عنوان الشجاعة وملاذ القبيلة وحماتها عند احتدام المعارك، وكانت الفروسية حديث الناس وأقاصيصهم... وقد ظلت أحاديث أولئك الأبطال حية في نفوس الأجيال عقب الأجيال يستلهمون منها القوة ويستمدون العون)[14].

ومما تقدم يتضح للباحث اختلاف وجهات النظر حول القيم وطبيعتها تبعاً للمواقف التي ترتكز عليها ، ولا يخفى على أحد أن الجاهلية بطبيعة تكوينها تفرض على أبنائها أدب الفروسية وتعلمهم تقديس البطولة.

خصائص القيم:

وللقيم خصائص وظيفية يمكن قياسها من خلال معرفة قيم الأفراد والجماعات ، وقد تكون مواضيع حسية أو صفات معنوية[15] ، **ومن ذلك:**

1. القيم التجريدية: ويقصد بها الصفة الموضوعية والاستغلالية المجردة ، ويجب أن تتجدد في حاملها حال وجوده ، ويؤكد هذا مقولة: أن القيم معان كلية ومجردة ، ورغم هذا لا تكون إلا إذا تلبست بالواقع والسلوك – أي: حينما يؤمن بها الإنسان كموجه ويحققها في سلوكه[16].
2. للقيم دور في توجيه المجتمع والفرد ويتطلب ذلك وجود الوعي والشعور بالقيم ، وأن تنطلق للخارج من خلال إيمانه بدورها في إرساء القواعد الاجتماعية.
3. القيم تهتم بالأهداف وذلك من خلال التصور الكلي للحياة الاجتماعية والثقافية للفرد والمجتمع ، ومن خلال هذا التصور ترتب الأولويات وتستنتج الخواتيم المتعارف عليها في الوعي الاجتماعي المغيب.
4. كذلك تمثل القيم معتقدات لا يمكن تجاوزها لدى بعض المجتمعات ، ومن خلالها يتم الحكم على الحسن والقبح والخير والشر، وهو ما يندرج تحت مفهوم الأخلاق الذي يتعدد ويختلف باختلاف الفلاسفة والعلماء ومعتقداتهم الدينية ، والتي تؤدي إلى خلق بيئة اجتماعية تنظمها القيم الأخلاقية ، وتعم مناهجها التعليمية ؛ لأن الأخلاق قاعدة عريضة تشمل كل أعمال الإنسان ، فلا يوجد شيء خارج دائرة الأخلاق سواء كان هذا الشيء سلوكاً فردياً ، أو نشاطاً سياسياً ، أو اجتماعياً ، أو ثقافياً ، أو غيره. فالعنصر الأخلاقي أصيل في تقييم وتقويم النشاط الإنساني ؛ لذلك جاء قول الرسول– (ρ):(إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[17]، ومن هذه القيم كذلك تجيء الشجاعة مكملة للشخصية البدوية.

أنواع القيم:

1. الشجاعة:

تجيء الشجاعة مكملة للشخصية البدوية ، وتظل ملازمة لها لا تنفك عنها ، والحياة البدوية لولا الشجاعة لأصابها الخلل والوهن ، بل تفقد الكينونة المميزة لها. والمتتبع للشعر الجاهلي يجد الشجاعة من أكثر الصفات دوراناً على ألسنتهم ؛ وذلك لاحتوائها لمعان أخرى إضافية كالمروءة ، والكرم ، والشهامة ، والإقدام ، ولكنها مجتمعة تعطي مدلولاً ومعنى شاملاً واسعاً.

---

[14] المصدر نفسه، ص124.
[15] علي أحمد محمد ، القيم الاجتماعية ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة 1985م ، ص20 .
[16] بدوي عبد الرحمن بدوي ، الأخلاق النظرية – الكويت ط8 1972م ، ص79 .
[17] النيسابوري: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم ، المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1411ه - 1990 ج2 ص670 .

ولعل الشجاعة تمثل منزعاً أصيلاً في نفس الشاعر الجاهلي ، والدواعي لوجودها أكثر من أن تحصى ، فالحياة البدوية لقسوتها ، والكر في سبيل الرزق ، وما يحيط به من مخاطر ، ورعي الحيوان وما يتبع ذلك من غارات وغدر ، ثم هناك النهب والسطو لذاته من طائفة من صعاليكهم ، وهكذا كانت حياتهم تعج بكل هذا الزفير والكر والفر. ولعل الشجاعة غرس أصيل في نفس البدوي ظلت ترفده وتغذيه عوامل كثيرة منها أنهم يبعثون بصبيانهم إلى البوادي ؛ لينهلوا من عنفها وخشونتها ومجابهة لأوائها وطبيعتها القاسية ، فتشربوا كل هذه المعاني فجاء أدباً ناصعاً سجله التاريخ العربي حماسة ومفاخرة ومدحاً[18]. وأهل البدو لتفردهم في المجتمع وتوحشهم في الضواحي قائمون بالمدافعة عن أنفسهم لا يكلونها إلى سواهم ، ولا يثقون فيها بغيرهم ، فهم دائماً يحملون السلاح ، ويجوبون البيئات والهيعات ، قد صار لهم البأس خُلُقاً والشجاعة دأباً يرجعون إليه متى ما دعاهم داع أو استفزهم صارخ[19].

2. العفة:

جاء في معناها عف الرجل: يَعِف عَفّاً وعَفَافاً وعِفَّة وعِفَافَة ، ويقال عف عنه فهو عَفٌّ وعَفِيفٌ ، وهي عَفَّةٌ وعَفِيفَة[20] ، فالرجل العفيف يبلغ عند الناس ذروة الشهامة لترفعه عن الدنايا ، ولبحثه عن المعالي من متطلبات الحياة الكريمة ، وما أجمل أن يقف المرء بإكبار أمام مجتمع يقدس العفة ويدرك كنهها ، فالعفاف دثار يرتديه الفرد والمجتمع حتى يبقى قوياً متماسكاً، وكذلك كان المجتمع الجاهلي بعيداً عن سواقط الأمور وعن دنايا الأحوال ، وبكامل البراءة والعفة قضوا حياتهم ، ومن مظاهر التعفف عندهم أن يحارب المجتمع بكامله كل الرزايا تنظيفاً للمجتمع من جيوب الفسق والانحلال. وهذا الرشد في التفكير يكتب في سجل صفحاتهم الخوالد ، وهم أهل الفطرة ، وهم منبع الأصالة.

3. الصبر:

الصبر في دلالته حبس النفس على ما تكره ، وأرفع درجاته التصبر ، فالمخلوق الذي يحبس نفسه عن الجزع هو الموصوف بهذه الصفة ، فالصبر وسام رفيع على صدر مرتديه لما يكابده من آلام وآمال، وأمة الجاهلية قد تميزت فيما تميزت به بقيمة الصبر؛ وذلك استجابة لطبيعة الحياة البدوية القاسية ، وأحسب أنهم كانوا كذلك وإلا لما استطاعوا مجابهة العاديات بجد وحزم كبيرين. ويظل الصبر عنواناً ورمزاً للأمم التي خلقت لتعلوا صهوات المجد، فكان نتاج هذا الصبر عند الجاهليين موروثاً فكرياً وثقافياً ماانفك نوره يضيء الطريق حتى يومنا هذا.

القيم الأخلاقية عند عنترة:

لقد احتفظت ذاكرة العرب على مدى الأجيال بشخصية من أبرز شخصياتها ، وفارس من أشجع فرسانها ، فكان المثل الأعلى في البسالة والبطولة ، وكانت أحاديثه نواة الملحمة الكبرى في تاريخ الأدب العربي ، **عنترة** الذي تمثلت في فروسيته معاني الرجولة العربية الكاملة ، تمثلت بأفعاله وأعماله ، وبعفته ، وكرمه ، برقته التي لا تنتهي إلى الضعف ، وصلابته التي لا تنتهي إلى العنف ، فهو رجل حياء وتكرم تمثلت بفخره الصورة الصادقة لنفسه الرفيعة التي تأبى القيود وتسمو إلى العلا ، ولا تقبل الذل والصغار ، وهو بعد كل هذه الصفات فارس تتمثل فيه الفروسية الحية في أقوى صورها وأروع معانيها.

[18] أحمد عبد الحميد محمد ، القيم الاجتماعية ، الدار السودانية للكتب ، ط1 2002م ، ص147 .
[19] ابن خلدون – العلامة عبد الرحمن بن محمد ، المقدمة ، دار الجيل – بيروت ، بدون تاريخ ، ص 138 .
[20] الوافي البستاني – عبد الله البستاني ، ص 416 .

لقد تحدثت الأخبار والمراجع كثيراً عن بطولته وشجاعته ، وكرمه ، وجوده ، فقد وصفه صاحب الخزانة بأنه أشجع أهل زمانه ، وأجودهم بما ملكت يداه[21]. وشخصية **عنترة** ذات ذكاء وحذق فعندما قيل له: أنت أشجع العرب وأشدها ، قال: لا ، قيل له: فلماذا شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً ، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً ، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي فيه مخرجاً ، وكنت أعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير له قلب الشجاع فأنثني عليه وأقتله[22].

وكان **عمرو بن معد يكرب** يقول: ما أبالي من لقيت من فرسان العرب ، ما لم يلقني حراها وهجيناها ، يعني بالحرين **الطفيل وعتيبة الحارث بن شهاب** ، وبالهجينين **عنترة والسليك بن السلكة** ، وعندما أنشد النبي – (ρ)– قول **عنترة:**

وَلقدْ أبيتُ عَلَى الطَّوَى وَأَظَلُّهُ حتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ المَأْكَلِ[23]

قال النبي – (ρ)– : (ما وصف لي أعرابي قط فأحببت أن أراه إلا عنترة)[24].

كما أسلفنا القول أن الفروسية لا تعني الطعان والصولات والجولات في المعارك بل تتعداها إلى كل ما يتصل بالفارس من قوة ، وصبر ، وشجاعة ، وكرم ، ومروءة ، وكل المثل التي يتخلق بها الفرد في مسيرة حياته ، ولكن ما حدثنا به الرواة عن **عنترة** يدور حول الفروسية والبطولة ، وإن كانت الشجاعة والفروسية من أنبل وأجل القيم الإنسانية ، ولولاها لما قامت **لعنترة** قائمة ، ولا ذاع له صيت ولا ذكر ، وهذا لا ينفي أن يكون **لعنترة** قيم أخرى مثل الإباء ، والعزة ، والوفاء ، والنجدة ، والكرم ، وغيرها ، من الأخلاق الحميدة ، فقد جاء في مقدمة الديوان: (والحق أن **عنترة بن شداد العبسي** وإن كان جاهلياً لم يدخل الإسلام ، يمثل مكارم الأخلاق العربية المرضي عنها في معظمها لأنها أخلاق الرجل الفارس في كل زمان ومكان .. فيها الشجاعة ، والمروءة ، والنجدة ، والكرم ، والوفاء بالعهد ، والإخلاص ...)[25].

يقول **عنترة بن شداد** في قصيدة له عندما وقف على ديار محبوبته **عبلة** ، يتفقدها ، ويفخر لها ببسالته ذاكراً لها أن نار حماسته تزيد نار الحرب اشتعالاً ، وتحرك رحاها لتطحن ضحاياها مستخدماً في ذلك السيوف التي لا تنقطع بلا رحمة وهي السيوف الهندية:

قِفْ بِالدِّيارِ وصِحْ إِلَى بَيــدَاهَا فَعَسَى الدِّيارُ تُجِيبُ مَنْ نَادَاهَا
يا عَبْلُ إِنِّي فِي الكَرِيهةِ ضَيْغَمٌ شَرِسٌ إِذَا مَا الطَّعْنُ شقَّ جِباهَا
وسَلِي الفَوارِسَ يُخْبُروكِ بِهمتِي ومَوَاقِفِي فِي الحَربِ حِينَ أَطَاهَا
وَأَزِيدُهَا مِنْ نَارِ حَرْبِي شُعْـلةً وَأُثِيرُهَا حَتَّى تَدُورَ رَحَاهَـــــا
وأكرُّ فِيهِم فِي لَهِيبِ شُعَاعَهَا وَأَكُونُ أَوَّلَ وَافِدٍ يَصْلاَهـــــــا
وأكونُ أولَ ضَارِبٍ بِمُهنـــــدٍ يَفري الجَمَاجِمَ لا يُرِيدُ سِواهَـــا
والخَيلُ تَعْلم والفَوارِسُ أَنَّنِـــي شَيْخُ الحُرُوبِ وَكَهْلُهَا وَفَتَاهَـــا[26]

[21] انظر: خزانة الأدب ، البغدادي ، ط4 ، ج1 ص128 .
[22] انظر: كتاب الأغاني أبو الفرج الأصفهاني ، دار الفكر – بيروت ، المجلد الثامن ص251 .
[23] ديوان عنترة بن شداد العبسي ، ص194 .
[24] الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، طبعة دار الثقافة ، ص240 ، وهو حديث منكر كما ذكر الألباني في السلسة الضعيفة ج14 ص27 .
[25] ديوان عنترة بن شداد ، ص5 .
[26] ديوان عنترة بن شداد ، ص290

ويذكر **عنترة** أنه أفرس من كل فارس ، حيث إنه يجعل من الفرسان في الحروب صرعى في ميدان القتال، ويقود خيولهم دون صحابها ، ويترك النساء ثكلى تفجعاً وندبة على بعولتهن وإخوتهن ، ويواصل مخاطباً عبلة قائلاً:

يَا عَبْلُ كَم مِنْ فَارسٍ خَلَّيْتُهُ فِي وَسْطِ رابيةٍ يَعُدُّ حَصَاها

يَا عَبْلُ كَمْ مِنْ حُرَّةٍ خلَّيتُها تَبْكِي وَتَنْعي بَعْلَهَا وَأَخَاهَـــا[27]

وتبلغ فروسيته حدها القياسي حينما قال متوددا ومتقرباً للمحبوبة:

يَا عَبْلُ لَو أَنِّي لَقِيتُ كَتِيبَةً سَبْعِينَ أَلْفاً مَا رَهِبْتُ لِقَاهَا

وَأَنَا المنِيَّة وابْنُ كُلِّ مَنِيّـــةٍ وَسَوادُ جِلْدِي ثَوْبُهَا وَرِدَاهَا

وهذه الفروسية والشجاعة النادرة قلَّ أن يأتي التاريخ بمثلها ، ولذا سمي (عنترة الفوارس) ، وعنترة فارس شغلته الحروب حتى إنه لا يجد وقتاً لإصلاح حاله وهيئته العامة ، وظل متقشفاً بسبب الحروب حتى نحل ورق جسمه لأنه عاش حياته عرضة لأطراف الرماح ، يقول عنترة:

عَجِبَتْ عُبَيْلَةُ من فتىً متبذِّل عاري الأشَاجِعِ شاَحبٍ كالمُنْصُلِ

شَعْثِ المَفَارِقِ مُنْهَجٍ سربالـُه لم يدَّهنْ حَوْلاً ولم يَتَرَجَّـــلِ

لا يكتسي الاَّ الحديدَ إذا اكتسى وكذلكَ كلُّ مغاور مستبســـل

فلربَّ أبلجَ مثل بعلكِ بادنٍ ضَخْمٍ على ظهر الجواد مُهيّـــل

غادرتهُ متعفراً أوصالـــــه والقومُ بين مجَرحٍ ومجـــــدل

فِيهم أَخو ثقةٍ يُضاربُ نَازلاً بالمشْرفيّ وفارسٌ لم يَنـــزِلِ[28]

وقد شهد الرواة والمؤرخون بفروسية **عنترة** وأكدها شعره الموثق ، يقول **ابن قتيبة:** (وكان **عنترة** قد شهد حرب داحس والغبراء فحسن فيها بلاؤه ، وحمدت مشاهده)[29] ، ودوره في القتال تبينه مواقفه مع الفرسان ، يلتقي بهم ثم يصرعهم ، ويختار أولئك الفرسان ذوي السمات الخاصة المتميزة ، فهو قد ترك زوج غانية مجدلاً في ساحة الوغى ، وقد طعنه طعنة نجلاء جعلت دمه يسيل بغزارة ، يقول عنترة:

وحليل غانيةٍ تركته مجدلاً تَمكو فريصتُهُ كشدْقِ الأَعْلَمِ

سبقتْ يدايَ له بعاجل طعنةٍ ورشاشِ نافذَةٍ كلوْن العَنْدَمِ[30]_[31]

ويصور لنا في مشهد آخر فارساً مدججاً بالسلاح تحاشاه الفرسان خوفاً منه ، ولكن **عنترة** جادت له يداه بطعنة عاجلة بسيف صادق الطعن ، فشك بالرمح الأصم ثيابه ، وترك دمه يخرج غزيراً ، دالاً السباع ليأتينه فيأكلن لحمه ، وهو يعلل لنا قتله على الرغم من أنه فارس كريم ، وكرمه لا يحرم دمه على القنا ، فيقول:

---

[27] المصدر نفسه ، ص291

[28] المصدر نفسه ، ص190 .

[29] انظر: الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ، ابن قتيبة ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط2 ، ص150 .

[30] العندم صبغ يصطبغ به لونه أحمر وهو البقّم وهو خشب يُطبخ وليس بعرق
أنظر: ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي - المخصص - (3 / 275)، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، الطبعة الأولى- 1417هـ 1996م. دار إحياء التراث العربي - بيروت.

[31] ديوان عنترة بن شداد ، ص230 .

ومُدَّجِجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ لامُمْعِنٍ هَرَباً ولا مُسْتَسْلِمِ
جَادَتْ لهُ كَفِّي بِعاجِلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقَّفٍ[32] صَدْقِ الكُعُوبِ مُقَوَّمِ
بِرَحِيبَةِ الفَرْعَينِ يهْدي جَرسُها بالليل معتسَّ الذئابِ الضرَّم
فَشَكَكْتُ بِالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيابهُ ليسَ الكَرِيمُ على القَنا[33] بِمُحَرَّمِ
فتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّبَاعِ[34] يَنَشْنَهُ يَقْضِمْنَ حُسْنَ بَنانهِ والمِعْصَمِ[35]

إن قيمة الشجاعة عند عنترة نابعة من فلسفته التي آمن بها كل الإيمان فالموت لابد منه ، فالأجدر أن تكون ميتة الإنسان في الحرب لأنها أولى من غيرها ، فيقول:

بكَرتْ تخوفني الحتوفَ[36] كأنني أَصْبحْتُ عن غَرض الحَتوفِ بِمَعْزِل
فأَجَبْتُهَا إنْ المَنيَّة[37] مَنْهـــلٌ لا بدَّ أنْ أُسْقَى بكأْس المنْهـــل
فاقني حياءك لا أبالكِ واعلمي أني امرؤ سأموتُ إنْ لم أقتـــل
إنَّ المنيَّة لو تُمثَّلُ مُثِّلـتْ مثلي إذا نزلوا بضنك[38] المنـــزل[39]

ولقد خاض **عنترة** أشد المعارك وأعظمها هولاً ، وغزا مع قومه فكان في تلك المعارك رمزاً للبطولة ، ومثالاً للفروسية الكاملة. **وعنترة** هو البطل الذي يدعى في الحروب وينادى باسمه في المعركة ليحمي قومه عند ذلك تشتفي نفسه ، وتبرد غلته ، وقد حفظ **عنترة** وصية عمه باقتحام القتال ومناجزة الأبطال في أشد أحوال الحرب عندما تتقلص الشفاه من شدة كلوح الأبطال فرقاً من أهوال المعركة ، وعندما تبدأ غمغمة الأبطال في الارتفاع يجعله أصحابه حاجزاً بينهم وبين الأسنة فلا يجبن ولا يتأخر ، وقد أنشد قائلاً:

لما رأيتُ القومَ أقبلَ جمعهُم يتذَامرونَ كَرَرْتُ غَيرَ مذَمّـم
يدعون عنترةَ والرِّماحُ كأنهـا أشطانُ بئرٍ في لِبانِ[40] الأدهـم
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيلُ الفوارس ويكَ عنتر أقـدم
ولقد حفظتُ وصاة عمّي بالضحى إذ تقلصُ الشفتانِ عنْ وضح الفم

---

[32] التثقيف هو إصلاح السهم يقال للذي يُصلح السهام والرماح مُثَقَّفٌ.
أنظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معاني كلمات الناس، (80/2)، تحقيق : د. حاتم صالح الضامن، الطبعة : الأولى - 1412 هـ -1992م، مؤسسة الرسالة - بيروت.

[33] القنا الرماح وكل خشبة هي عند العرب قناة وعصا.
أنظر: أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، الزاهر في معانى كلمات الناس - (2 / 114)

[34] اجْتَزَر القومُ في القتال وتَجَزَّرُوا ويقال صار القَوم جَزَراً لعدوّهم إذا اقتتلوا وجَزَرَ السِّباعِ اللحمُ الذي تأْكله يقال تركوهم جَزَراً بالتحريك إذا قتلوهم وتركهم جَزَراً للسباع والطير أي قِطَعاً.
انظر: ابن منظور: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب- (4/ 133)، الطبعة الأولى، دار صادر– بيروت.

[35] ديوان عنترة بن شداد، ص230 .

[36] الحَتْفُ: الموتُ، والجمع الحُتوفُ.
أنظر: الجوهري: إسماعيل بن حماد، الصحاح في اللغة - (1 / 114) .

[37] المنية: الموت جمع منايا.
أنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط - (2 / 889). تحقيق : مجمع اللغة العربية، نشر: دار الدعوة.

[38] الضَنْكُ: الضيقُ أي المنزل أو المكان الضيق.
أنظر: الجوهري، الصحاح في اللغة - (1 / 414)

[39] ديوان عنترة بن شداد ، ص195 .

[40] اللبان الحبل ومنه لبان السفينة وهو القلس وهو حبل غليظ من الكتان ونحوه تجر به السفينة عند سكون الريح.
أنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط - (2 / 814)

في حومة[41] الحربِ التي لا تشتكي غَمَرَاتِها[42] الأَبطالُ غيْرَ تَغَمْغُـــمِ
إذْ يتقُون بي الأسَّنة لزم أخمْ عنها ولكني تضايـــق مُقدَمـــــــي[43]

رغم أنّ شهرة **عنترة** تمثلت في الشجاعة النادرة من التاريخ ، وهذا لا ينفي بل يؤكد وجود قيم أخرى يتحلى بها **عنترة** ، وكما ذكرنا من قبل فلا يتصور وجود فروسية بدون مروءة وكرم وعفة ونحو ذلك ، يقول صاحب الأغاني: (أما مروءته فقد صورها لنا **عنترة** عندما فخر عليه رجل من عبس فقال: إني لأختصر الوغى وأوفي المغنم ، وأعف عند المسألة ، وأجود بما ملكت يدي)[44] ، فإذا أراد أن يزور جارته ، زارها عند حضور زوجها ، فإن خرج غازياً لم يغشها محافظة وصيانة لعرضها وعرضه ، ويغض طرفه إذا بدت له جارته حتى يتركها تدخل منزلها ، فيواريها ولا يتبع نفسه ذلك الهوى حتى إذا لجت في إرادته[45] ، ويدل عليه قوله:

أَغشى فَتاةَ الحَيّ عِندَ حَليلِها وَإِذا غَزا في الجَيشِ لا أَغشاها
وأَغُضُّ طرفي ما بدَتْ لي جارَتي حتى يُواري جارتي مأْواها
إني امرؤٌ سَمْحُ الخليقةِ ماجدٌ لا أتبعُ النفسَ اللَّجوجَ هواها
ولئنْ سأَلْتَ بذاكَ عبلةَ خَبَّرَتْ أن لا أريدُ من النساءِ سواها
وأُجيبُها إمَّا دَعتْ لِعَظيمـــــةٍ وأعينها وأكفُّ عمَّا سَاهـــا[46]

و**عنترة** رجل سمح المعاشرة ، يعامل أصحابه بالخلق الحسن بشرط أن لا يُظلم فحينئذ يعاقب أعداءه عقاباً بالغاً ، يقول:

أثني عليَّ بما علِمْتِ فإنني سمحٌ مخالطتي إذا لم أظلم
وإذا ظُلمْتُ فإنَّ ظُلميَ باسلٌ مرٌّ مذَاقَتهُ كَطعم العَلْقم[47]

وهو يقدم على الحرب في غير مهلة ويترفع عن الغنائم ؛ لأنه لا هم له إلا تحقيق النصر ، يقول في ذلك:

يُخبرْكِ من شَهدَ الوقيعَةَ أنني أغشى الوغى وأعفُّ عند المغنم
فأرى مغانمَ لو أشاء حويتها فيصدُّني عنها كثيرُ تحشمي[48]

وهو حينما يقدم باقتناعه لا يندم على فعله كما يقول:

وإذا حملتُ على الكريهةِ لم أقلْ بعد الكريهةِ ليتني لم أفعل[49]

وعنترة يترفع عن ذل المسألة ، ويأبى العيش الذليل حتى ولو بات طاوياً متحملاً الجوع ، وفي ذلك قوله:

ولقد أبيتُ على الطَّوى وأظلهُ حتى أنال به كريمَ المأكلِ[50]

---

[41] حام دار وحومة الحرب معظمها.
أنظر: الجوهري، الصحاح، (157/1). وابن منظور، لسان العرب (745/1).
[42] شدائدها التي تغمر أصحابها أي تغلب على عقولهم وقلوبهم.
أنظر: إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط – (ص660).
[43] ديوان عنترة بن شداد ، ص231 .
[44] الأغاني ، ج9 ص223 .
[45] أنظر: الفروسية في الشعر الجاهلي ، ص283 .
[46] ديوان عنترة بن شداد ، ص286 .
[47] ديوان عنترة بن شداد ، ص229-230 .
[48] المصدر نفسه ، ص230 .
[49] المصدر نفسه ، ص195 .

ويلبي دعوة من يناديه في الحرب ، ويجيب صرخة المستغيث به ، ولم تكن التلبية بالصياح فقط ، إنما بالعمل ، فيعطف عليه بفرسه ليرد عنه سيوف الأعداء:

ومكرُوبٍ كشَفْتُ الكَربَ عنه بضربةٍ فيصل لَّما دعاني
دعاني دعوةً والخيلُ تجري فما أدري أبا سمى أمْ كناني
فلم أُمْسِكْ بسمْعي إذْ دعاني ولكنْ قد أبان لهُ لِساني
بأسمَرَ من رماحِ الخَطّ لَدْنٍ وأبيضَ صارمٍ ذَكرٍ يَمانِ[51]

فعند احتدام المعركة يصور لنا عنترة مشهداً بطولياً عظيماً ، موضحاً كيفية نجدته للمستغيث المكروب ، حيث تأتي إجابته إياه فصيحة واضحة بالعمل ، فلا يتوانى قليلاً حتى يتبين لسمعه أن المستغيث دعاه باسمه ، أم ناداه بكنيته ، فيسرع ويقبل بحصانه حتى يحتل موقعاً وسطاً بين العدو ومستغيثه ، ويدافع عنه برمح ناضج ، من الرماح الخطية البحرينية ، وسيف يمان صلب قوي.

وقد ورد ذكر مثل هذه الرماح ، والسيوف القاطعة دلالة على الشجاعة والفروسية في أشعار الكثيرين من الجاهليين غير عنترة ، قال **عمرو بن كلثوم:**

بِسُمْرٍ مِنْ قَنَا الخَطِّيّ لُدْنٍ ذَوَابِلَ أَوْ بِبِيْضٍ يَخْتَلِيْنَا[52]

وبالرغم من أن خوض الحروب قد شغل حيزاً كبيراً في حياة الفارس – **عنترة بن شداد** – بيد أنه لا ينسينا الجانب العاطفي في شعره ، فقد كانت قصائده يتخللها الكثير من ذكر **عبلة** يبثها أشواقه وفيض مشاعره ، قال **عنترة** في قصيدة له يتفقد حبيبته عبلة قبل رحيلها ديارها ، ويبدو كأنه مخاطباً طائراً:

أين الخَليُّ القلْبِ ممَّنْ قلْبُهُ من حرّ نيرانِ الجوى ملآن
عِرْني جَناحَكَ واسْتعِرْ دمْعي الذي أفنى ولا يفنى له جريان
حتى أَطيرَ مُسائلاً عنْ عبْلةٍ إنْ كان يُمكنُ مثليَ الطَّيرانُ[53]

القيم الأخلاقية عند عامر بن الطفيل.

حياته:

كان **عامر بن الطفيل** من أبطال العرب المعدودين الذين يخشى جانبهم ، اشتهر بحذقه في ركوب الخيل ، وكان له فرس يسمى المزنوب من أكرم الخيول العربية ، وقد أكثر من ذكره لا سيما في قصيدته التي قالها يوم فيف الريح ، وكان له فرس آخر يسمى دعلج اقتناه بعد أن عقر المزنوب في يوم الرقم[54].

ويقول صاحب ديوان **عامر بن الطفيل:** عرف عامر بخصال كثيرة مذمومة ، عقمه ، وجفاء طبعه ، وظلمه ، وبخله ، وقد ذكر الرواة حادثاً وقع له بعد أن فقئت عينه يوم فيف الريح ، حدث مع **كسرى أنو شروان** ، كان من الأدلة على جرأته وخشونة أخلاقه ، زعموا أن وفداً أرسله **النعمان** إلى **كسرى** ليريه فضل العرب ، فتكلم بين يدي ملك الفرس فأظهر غلظة وحدة ، فقال له **كسرى:** متى تكاهنت **يا عامر؟** قال: لست كاهناً ولكني بالرمح طاعناً ، فقال **كسرى:** فإن أتاك آت من جهة عينك

---

[50] المصدر نفسه ، ص194 .
[51] المصدر نفسه ، ص277 .
[52] شرح المعلقات السبع للزوزني ، دار الخليل – بيروت لبنان ، ص174 .
[53] ديوان عنترة بن شداد ، 262 .
[54] ديوان عامر بن الطفيل ، دار صادر ، ص6 .

العوراء ما أنت صانع ؟ قال ما هيبتي في قفاي بدون هيبتي في وجهي[55] ، ولا غرو أن يكون **عامر** على هذا القدر من الحدة والجرأة لأنه لو افتقدهما لم يكن فارساً[56]. فعامر بن الطفيل هو ابن سيد عامر وفارسها المندوب في كل موكب ، ولم يتسود عامر عن وراثة ، ولكن بفروسيته وشجاعته ، وها هو يقول عن نفسه:

فَما سَوَّدَتْني عامِرٌ وِراثَةٍ أَبَى اللهُ أنْ أسْمُو بأُمٍّ ولا أبِ
ولَكِنّني أحْمي حِماها وأتّقي أذاها وأرْمي مَنْ رَمَاها بمِقْنَبِ[57]

ذكرنا سابقاً أن صاحب الديوان ذكر لعامر صفات ذميمة ، منها بخله ، فيبدو الأمر خلاف ذلك كما يدل شعره :

إنّا لَنَعْجَلُ بالعَبيطِ لِضَيْفِنَا قَبْلَ العِيَالِ ونَطْلُبُ الأوْتَارَا
ونَعُدّ أيّاماً لَنَا ومَآثِراً قِدْماً نَبُذّ البَدْوَ والأمْصارَا[58]

ويذكر **عامر** أنهم لا يغفلون عن قرى أضيافهم ولو فاق عددهم الإنس والجن ، يقول في ذلك:

فَلَوْ كانَ جَمْعٌ مِثْلُنا لم يَبُزّنَا ولَكِنْ أتَانَا كُلُّ جِنٍ وخابِلِ
فَبِتْنا ومَنْ يَنْزِلْ بِهِ مثلُ ضَيفِنا يَبِتْ عَنْ قِرَى أضيافِهِ غيرَ غافِلِ[59]

وقال يفتخر بشجاعته وكرّه:

لَقَدْ تَعْلَمُ الخَيْلُ المُغِيرَةُ أنّنَا إذا ابْتَدَرَ النّاسُ الفَعالَ أُسُودُهَا
على رَبِذٍ يَزْدادُ جَوْداً إذا جَرَى وقد قَلِقَتْ تحتَ السّروجِ لُبودُهَا
إذا سَنَةٌ عَزّتْ وطالَ طِوالُهَا وأقْحَطَ عَنها القَطرُ واصفَرّ عُودُها[60]

فهو يقرن بين الشجاعة والكرم ، وخير كرمهم ما وافق الحاجة في سني القحط ، والجدب ، وفي برودة الشتاء عند تجمد المنازل بالجليد ، وهم يجودون بأكرم ذبائحهم ، يذبحونها وينحرونها ، وهي سمينة من غير علة وبكل سرعة ، مما يدل على أصالة بني عامر قومه في الكرم ، فلا بد أن يكون سيدهم وزعيمهم **عامر بن الطفيل** كريماً.

الحكمة في شعر عامر:

جاءت في شعر **عامر بن الطفيل** رغم ما ذكرنا آنفاً حكم تُعبر عن إنسانيته ودعوة من أراد العبرة والاتعاظ ، فهو يدعو إلى التريث في شبهات الأمور ، أو ما يلتبس فيه الحق والباطل ؛ لأنّ التجارب تتناقل ويتحدث بها ، فالعبرة والاتعاظ مما سبق ضروريان ، والمفرط في الأمور يعرض نفسه للوم ، يقول في **ذلك:**

تَبَيّنْ في شُبُهاتِ الأمُورِ فَإنّ التّجارِبَ قَدْ تُؤثِرُ
لَقَدْ كانَ فِيمَا خَلا عِبْرَةٌ وبالعِلْمِ يَعْتَبِرُ المُبْصِرُ
يُلامُ المُفَرّطُ في أمْرِهِ إذا صَرّحَ الأمْرُ للمُعْذِرِ[61]

---

[55] المصدر نفسه ، ص7 .
[56] أدرك الإسلام ولم يسلم بل عادى رسوله الأمين ﷺ ، (أعاذنا الله وأجارنا) فالدفاع عن النبوة واجب شرعي أما ما جاء عنده من قيم فجاهلية.
[57] ديوان عامر بن الطفيل ، 13 .
[58] ديوان عامر بن الطفيل ، ص45-47 .
[59] المصدر نفسه ، ص91 .
[60] المصدر نفسه ، ص91 .
[61] ديوان عامر بن الطفيل ، ص69 .

وقد كان **عامر** صبوراً على شدة الحرب ، وجاء قول له يذكر فيه دفاعه عن رجل يسمى سميطاً ، وكيف أنه صبر على شدة الحرب ، ولم يرهب الموت ، ولم يفر مع أنه لو شاء الفرار لكانت فرسه نجته:

رَهِبْتُ وما مِنْ رَهبةِ الموْتِ أجزَعُ وعالَجتُ هُمّاً كنتُ بالهمّ أُولَعُ

دَعاني سُمَيْطٌ يوْمَ ذَلِكَ دَعْوَةً فَنَهْنَهْتُ عَنْهُ والأسِنّةُ شُرَّعُ

فَلَوْ شِئْتُ نَجّتْني سَبوحٌ طِمِرّةٌ تَحُكّ بخَدَيْهَا العِنَانَ وتَمزَعُ[62]

فكان عامر عوّاناً لبني قومه في الثبات وعدم الفرار ، وقد أحكمته تجارب الحرب ، فجاء يوعظ غيره ، داعياً للصبر والثبات وعدم الفرار من المعركة إلا لعذر

فأنبَأته أنَّ الفِرارَ خَزَايَةٌ على المرءِ ما لم يُبْلِ جُهْداً فيُعْذَرِ[63]

وشاعرنا البنا يتناول ذات الموضوع فيقول:

الحَربُ صِدقٌ واللِّقَاءُ ثَبَاتُ والمَوتُ في شَأنِ الإلَهِ حَيَاةُ

وقد أقر الإسلام الثبات في المعركة والصبر عند ملاقاة العدو ، وعدم الفرار إلا من كان متحرفاً لقتال ، قال الله تعالى: [وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ] [الأنفال:16]. ، وقد بعث في نفسه خوضه للحروب الإيمان بعدم الخلود في الأرض إذ يقول:

يا أسْمَ أُخْتَ بَني فَزارَةَ إنّني غازٍ وإنّ المَرْءَ غيرُ مُخَلَّدِ[64]

وأن كل إنسان مصيره للهلاك ، فالسلامة لا تدوم ، والشباب لا يدوم ، وقد قال في رثاء أبيه طفيلاً:

ألا كلُّ ما هَبَّتْ بهِ الرّيحُ ذاهِبُ وكُلُّ فَتًى بَعدَ السّلامةِ شاحِبُ[65]

ويرى **عامر** أن بقاء الود أمر ضروري حتى بعد الممات كما في قوله:

فَلا خَيرَ في ودّ إذا رَثّ حَبْلُهُ وخَيرُ حِبالِ الوَاصِلينَ جَديدُهَا[66]

ويأتي قوله ينطق بحكمة أيدها الله عز وجل بقوله: [كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ] [البقرة:216].

قَضَى اللهُ في بَعضِ المَكارِهِ للفَتَى برُشْدٍ وفي بَعضِ الهَوَى ما يُحاذِرُ[67]

حُكمه:

يقول **عامر** : إن حكمه ليس ظلماً ، ولا ينقاد إلى الجور ، ولا يلجأ لإهلاك الناس إلا عند اعوجاجهم ، كما في قوله:

أَلَمْ تَعْلَمي أني إذا الإلْفُ قادَني إلى الجَوْرِ لا أنْقادُ والإلْفُ جائِرُ[68]

ويقول في قصيدة بائية:

وإني سوف أحكم غير عاد ولا قذع إذا التمس الجواب

حُكومَةَ حَازِمٍ لا عَيْبَ فيها إذا ما القوم كظهم الخطاب

فإنّ مَطِيّةَ الحِلْمِ التّأنّي على مَهَلٍ وللجَهْلِ الشّبابُ[69]

---

[62] المصدر نفسه ، ص81-82 .
[63] المصدر نفسه ، ص62 .
[64] ديوان عامر بن الطفيل ، ص56 .
[65] المصدر نفسه ، ص24 .
[66] المصدر نفسه ، ص47 .
[67] ديوان عامر بن الطفيل ، ص75 .
[68] المصدر نفسه ، ص75 .

فهو يحكم غير باغ ، ولا يقول الكلام القبيح ، وحكمه في الناس لا عيب فيه إذا امتلأ الناس غيظاً ، وهو حليم يتأنى في الأمور ولا يجهل جهل الشباب ، ولكن تكاد نفسه تذهب حسرات إذا خالفه قومه في أمر الحرب ، فلا يطيعوا قائدهم ، مما يترتب عليه الهزيمة ، لذلك فإنه إذا عصي ينصب عليهم سوط العذاب ، وفي قصيدة له نجده يتلهف لأنّ قومه لم يطيعوه فلم يكن النصر حليفه:

يا لَهَفي على ما ضَلّ سَعْيِي وسَيْرِي في الهَواجِرِ ما أقِيلُ
ولَوْ أنّي أُطِعْتُ لَكانَ مِنّي لِمُدْرِكِ أكْلُبٍ يَوْمٌ طَوِيلُ
ولَكِنّي عُصِيتُ وكانَ جَهْلاً بِهِمْ ألاّ يُبالُوا ما أقُولُ[70]

وقال يهجو قوماً مبيناً أن اعوجاجهم هو الذي دعاه إلى إهلاكهم:

وأهْلَكَني لَكُمْ في كُلّ يَوْمٍ تَعَوّجُكُمْ عَلَيّ وأسْتَقِيمُ[71]

وقد تعرض هنا لمشكلة خطيرة ، وهي مخالفة القادة لقائدهم ، وما يترتب عليها من هزيمة ، وهذا ما يذكرنا بمخالفة القادة للرسول – ﷺ – يوم أحد ، وما نجم عنه.

عاطفته:

تتجلى العاطفة في شعر الرثاء ، وصدى الذكرى وعدم نسيان الأقارب والأحباب والأخلاء ، وهي قيم إنسانية عظيمة ، فهو لا ينسى ابن أخيه صفي نفسه ووده ، حيث يقول:

وهَلْ داعٍ فيُسمعَ عَبدَ عَمْرٍو لأخرَى الخَيلِ تَصرَعُها الرّماحُ
فَلا وأبِيكَ لا أنْسَى خَليلي بِبَدْوَةَ ما تَحَرّكَتِ الرّيـــاحُ
وكُنتَ صَفيّ نَفسي دونَ قَوْمي ووُدّي دونَ حامِلَةِ السّـلاحِ[72]

فروسيته:

عامر فارس قبيلة هوازن ، وحامي ديار أجداده ، وقد قال قصيدة بعد يوم مشهود من أيام العرب هو يوم فيف الريح ، ذلك اليوم الذي ظهرت فيه بسالته ، وكان فيه مقداماً حتى فقئت عينه ، ويذكر في هذا اليوم فرسه المزنوق ، وهو من أكرم الخيول العربية كما ذكرنا:

لقد عَلِمتْ عُليا هَوازنَ أنّنِي أنا الفارس الحامي حَقيقةَ جَعْفرِ
وقد عَلِمَ المزنُوقُ[73] أنّي أكرُهُ عَشِيّةَ فَيْفِ الرّيحِ كَرَّ المُشَهَّرِ
أردتُ لكيلاَ يعلمَ الله أنني صَبَرتُ وأخْشَى مثلَ يوم المُشَقَّرِ
لَعَمري ومَا عَمْري عَليَّ بهَيّنٍ لقد شَانَ حُرَّ الوجهِ طعنَةُ مُسْهِرِ[74]

وكان لا يفارقه الهم إن كان هناك ثأر رأى من الواجب الأخذ به ، فيأخذ به على حصان أجرد ، وفي ذلك قوله:

تَقُولُ ابنَةُ العَمريّ ما لَكَ بَعْدَما أراكَ صَحيحاً كالسّليمِ المُعَذَّبِ

---

[69] ديوان عامر بن الطفيل ، ص20 .
[70] المصدر نفسه ، ص98 .
[71] المصدر نفسه ، ص132 .
[72] ديوان عامر بن الطفيل ، ص98 .
[73] (المَزْنُوق) : فرس عامر بن الطُفَيْل . وفرس عتّاب بن ورقاء الرياحيّ.
محمد بن كامل الصاحبي، الحلبة في أسماء الخيل - (1 / 62)، دار المعارف –بيروت.
[74] المفضليات ، ص106 ، وجعفر أحد أجداده.

فقُلْتُ لهَا هَمّي الذي تَعْلَمينَهُ من الثّأرِ في حَيّيْ زُبَيْدٍ وأرْحَبِ
فَما أدْرَكَ الأوْتارَ مثلُ مُحَقِّقٍ بأجْرَدَ طاوٍ كالعَسيبِ المُشَذَّبِ[75]

وقال يفتخر بوطنه جبل ثهلان دون أن ينازعه أحد ، وبدفعه فرسه المزنوق بين خيول الأعداء وفتكه ببني عبس ومرة:

نَحْنُ قُدْنَا الجِيادَ حَتى أبَلْنَاها بِثَهْلانَ[76] عَنْوَةً فاسْتَقَـــرّتْ
وَزَجَرْتُ المَزْنُوقَ حتى رَمَى بي وَسْطَ خَيْلٍ مَلْمُومَةٍ فابذعرّتْ[77]
وصَبَحْنا عَبْساً ومُرّةَ كأســاً في نَواحي دِيارِهِمْ فاسْبَطَرّتْ[78] [79]

ويذكر **عامر** أنهم يستخدمون أكرم الخيول العربية التي تربط في البيوت ، ولا ترعى مع غيرها في الغارات ، فتبدو بهم في ساحات الحرب مثيرة للغبار ، ولا يفارقه فرسه المزنوق ، وإذا وصف الحرب الواصفون تبدوا أبناء عامر قبيلته للتصدي لهم في لباس الحرب من بيض ودروع ، وفي ذلك يقول:

للمُقْرَباتِ[80] غُدُوٌّ حِينَ نُحْضِرُهَا وغارَةٌ تَسْتَثِيرُ النّقْعَ في رَهَجِ
فَما يُفارِقُني المَزْنُوقُ مُحْتَمِلاً رِحَالَةَ شَدَّهَا المِضْمارُ[81] بالثَّبَجِ[82]
إذا نَعَى الحَرْبَ ناعُوها بَدَتْ لهُمُ أبْناءُ عامِرَ تُزْجي كُلّ مُخترَجِ
عَلَيْهِمُ البَيضُ[83] والأبدانُ سَابِغَةً[84] يُقَحِّمُونَ كأنّ القَوْمَ في رَهَـجِ
صَبَحْنَ عَبْساً غَداةَ الرَّوْعِ آوِنَةً وهُنّ عِ الَينَ بابنِ الجَوْنِ في دَرَجِ
إنْ تَسألي الخَيلَ عَنّا في مَواقِفِها يَوْمَ المُشَقَّر[85] والأبْطالُ في زَعَجِ
تُخْبِرْكِ أنّي أُعِيدُ الكَرَّ بَيْنَهُمُ إذا القَنَا حُطِمَتْ في يوْمِ مُعتَلَجِ[86]

وهذه القصيد يظهر فيها أن قومه بني كانوا يلومونه منكرين عليه بلاءه في الحروب فجاء يذكرهم بالأيام التي أبلى فيها ، وبالذين فتك بهم:

---

[75] ديوان عامر بن الطفيل ، ص26-27 .
[76] ثَهْلاَنُ جَبَل.
المخصص - لابن سيده - (5 / 137).
[77] ابْذَعَرَّتِ الخيلُ، إذا ركضتْ تبادر شيئاً تطلبه.
الجوهري، الصحاح في اللغة - (1 / 36).
[78] (اسبطر) اضطجع وامتد يقال اسبطرت الذبيحة امتدت للموت بعد الذبح وفي السير أسرع والبلاد استقامت.
المعجم الوسيط - (1 / 414).
[79] ديوان عامر بن الطفيل ، ، ص31-32 .
[80] المُقْرَبَاتُ من الخيل : العِتاقُ الّتي لا تُحْبَسُ في المَرْعَى ، ولكن تُحْبَسُ قُرْبَ البُيُوتِ مُعَدَّةً لِلْعدُوّ.
انظر: الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس - (4 / 16). تحقيق : مجموعة من المحققين، الناشر : دار الهداية.
[81] (المضمار) المكان تضمر فيه الخيل أو تتسابق.
المعجم الوسيط - (1 / 544)
[82] الثبج: ثبج الرجل جعل العصا على ظهره.
أساس البلاغة، (44/1).
[83] بيض الحديد مثل الخوذة ونحوها.
المعجم الوسيط ، (521/1).
[84] أسبغ الله النعمة أي أتمها وفي الحديث: (إسباغ الوضوء على المكاره).
القاموس المحيط (1012/1).
[85] (المشقر) القدح العظيم وقربة من جلد وحصن بالبحرين قديم.
المعجم الوسيط - (1 / 489).
[86] ديوان عامر بن الطفيل ، ص35-38 .

بَني عامِرٍ غُضّوا المَلامَ إلَيْكُمُ وهاتُوا فعُدّوا اليومَ فيكمْ مَشاهدي
ولا تَكْفُرُوا في النّائِباتِ بَلاءَنَا إذا عَضّكُمْ خَطبٌ بإحدى الشّدائدِ
سَلوا تُخْبَروا عَنّا غَداةَ أُقَيصِرٍ وأيّامَ حِسْمَى أو ضَوارِسَ حاشِدِ
وبالكَوْرِ إذْ ثابَتْ حَلائِبُ جعفرٍ إلَيكُمْ وجاءَتْ خَثْعَمٌ للتّحاشُدِ
ليَنْتَزِعُوا لْقاتَنا ثُمّ يَرْتَعُـــوا فأرْدَتْ قَناتي منهُمُ كُلَّ مَاجِدِ
تَرَكْتُ صَريعاً بالعَراءِ مُجَدَّلاً ضُبَيْعَةَ إذْ نَجّى شُتَيْرَ بن خالدِ
طِمِرٌّ وزَيْدُ الخَيْلِ قد نالَ طَعْنَةً إذِ المَرْءُ زَيْدٌ جائِرٌ غَيرُ قاصِد[87]

وقد أعد من القوة الحربية لحماية عشيرته في كل عام قائلاً:

فَذَلِكَ ما أعْدَدْتُ في كلّ مأقِطٍ كَريهٍ وعَامٍ للعَشِيرَةِ آئِدِ[88]

وهو قليل في عامر أمثاله إذ أنه أول الضاربين من هوازن للملوك:

إنّني والّذي يَحُجُّ لَهُ النّـــا سُ قَليلٌ في عَامِرٍ أمْثالي
غَيرَ أنّي أوْلى هوازِنَ في الحَرْ بِ بضَرْبٍ المُتَوَّجِ المُخْتالِ[89]

كما أنه ابن الحرب الذي أكسبه خوضه لها مجداً وشرفاً ، فهو أكثر إقداماً وجرأة من الأسد:

لَقَدْ تَعْلَمُ الحَرْبُ أنّى ابنُها وأنّى الهُمامُ بِها المُعْلِـــمُ
وأنّي أحُلّ عَلى رَهْـوَةٍ منَ المَجدِ في الشّرَفِ الأعظَمِ
وأنّي أكُرّ إذا أحْجَمُـوا بأكْرَمَ مِنْ عَطْفَةِ الضّيغَـــمِ[90]

فهو المقدام الذي لا يجبن إذا جبن الناس ، ويضرب بسيفه خلال الدروع المحكمة الصنع:

وأضرِبُ بالسّيفِ يَوْمَ الوَغَى أقُدّ بهِ حَلَقَ المُبْرَمِ[91]

ويذكر غارة له على بني عبس تصدى فيها لخصومه وصرعهم حتى من استوى معه في شجاعته ، أو كان نداً له ، وقد شفى حرارة نفسه من آل عبس حتى فر عنترة كالصقر على عجل.

الخاتمة:

فلما كانت دراسة القيم مرتبطة بثقافة المجتمع وعاداته ، فإنها تعد من أكثر الدراسات تعقيداً ، خاصة إذا كانت تعتمد على تحليل النصوص وتفسيرها ، ولعل القاعدة الصلبة التي قامت عليها فكرة الجاهليين لمعاني الحياة وقيمتها شكلت سداً منيعاً دون انهيار هذه القيم ، فقد كانوا يحتفلون أيما احتفال بشاعر ينبغ ، أو مهر تنتج ، أو مولود ذكر ، ولعل الرابط بين هذه الثلاثة هو الفخر ، والشجاعة ، والعز ، والكرم. دراسة هذه القيم عند هذين الشاعرين توضح معالم القيم في الحياة الجاهلية كلها ، فالشعر مرآة لعكس حياة الأمة. وهذه القيم فطرية أقرتها الشرائع الفطرية السليمة.

---

[87] المصدر نفسه ، ص44.
[88] المصدر نفسه ، ص102 .
[89] المصدر نفسه ، ص52-53 .
[90] المصدر نفسه ، ص120 .
[91] ديوان عامر بن الطفيل ، ص119-120 .

أكثر الشاعران من استخدام بحر الكامل ليناسب المقام واستوعبت أشعارهما القيم الأخلاقية فجاءت في قوالب تحمل معاني الحكمة ، ويظهر الصدق الفني في صياغتها، والصدق الأخلاقي في معانيها ودلالاتها.

ويوصي الباحث بضرورة تمثل هذه القيم على مستوى الفرد والأسرة والجماعة انطلاقاً من مرجعيتها الفطرية السليمة ، فطرة الله التي فطر الناس عليها وكذلك قوله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) فما أحرانا أن نرتفع لترسيخ التوازن ، والاستقرار الاجتماعي في وجه المتغيرات القيمية ، والأخلاقية ، ولنؤكد من خلال ذلك أصالة الأمة ، ورعاية موروثها الأدبي والاجتماعي.

المراجع

1. **القرآن الكريم.**
2. ابن منظور – **جمال الدين بن مكرم بن منظور** ، لسان العرب ، دار المعارف – بيروت.
3. إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**. تحقيق: مجمع اللغة العربية، نشر: دار الدعوة.
4. أحمد عبد الحميد محمد ، **القيم الاجتماعية** ، الدار السودانية للكتب ، ط1 2002م.
5. الأصبهاني، **كتاب الأغاني** ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الصحوة – القاهرة.
6. بدوي عبد الرحمن بدوي ، **الأخلاق النظرية** – الكويت ط8 1972م.
7. البستاني: عبد الله البستاني، **فاكهة البستان**، دار القلم – بيروت. ابن خلدون– العلامة
8. البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة **الأدب ولب لباب العرب**، مكتبة الخانجي –القاهرة.
9. أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: د.
10. الترمذي– محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي ، **الجامع الصحيح سنن الترمذي** ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
11. الجمحي: محمد بن سلام ، **طبقات الشعراء**، دار الفكر– بيروت، ط7 1988م.
12. ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ، **المقدمة** ، دار الجيل– بيروت ، بدون تاريخ.
13. الجوهري: إسماعيل بن حماد ، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عطار ، دار العلم للملايين – بيروت: ط4 1987م.
14. الراغب الأصفهاني ، **المفردات في غريب القرآن** ، دار المعارف– بيروت ، بدون تاريخ.
15. الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**. تحقيق : مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
16. الزوزني، **شرح المعلقات السبع** ، دار الخليل – بيروت– لبنان.
17. ابن سيده: أبو الحسن علي بن إسماعيل **النحوي اللغوي الأندلسي– المخصص** . تحقيق: خليل إبراهم جفال، الطبعة الأولى– 1417هـ 1996م. دار إحياء التراث العربي– بيروت.
18. الصاحبي، **الحلبة في أسماء الخيل** ، دار المعارف –بيروت.
19. الضبي: أبو بكر بن محمد ، **المفضليات**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف – القاهرة.
20. ضياء زاهر، **القيم في العملية التربوية** ، مؤسسة الخليج العربي ، الطبعة الثانية 1984م.
21. عامر بن الطفيل ، **الديوان برواية بن الأنباري العباس يحيى بن ثعلب**، دار صادر – بيروت/ لبنان.
22. علي أحمد محمد ، **القيم الاجتماعية** ، مكتبة النهضة المصرية – القاهرة 1985م.
23. عنترة بن شداد العبسي ، **الديوان، تقديم وترتيب وشرح:** عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي – سوريا ط1 1999م.
24. الغزالي– أبو حامد بن محمد، **الإقتصاد في الإعتماد** ، تقديم: علي أبو محمد، مكتبة الهلال – بيروت ، ط1 1993م.
25. الغيثي: نوري حماد، **الفروسية في الشعر الجاهلي**، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية، ط2 1984م.
26. ابن قتيبة، **الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء** ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط2.
27. منير موسى محمد – **فلسفة التربية واتجاهاتها ومدرستها** ، عالم الكتب – القاهرة ، 1982م.
28. النيسابوري، **المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص** ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ،

دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، 1411هـ – 1990م.